نـافـذة

خبزنا بلا ملح

مأساة وملهاة، دراما حياتية، تدعونا كي نتطلع إلى الكيفية التي يسبق فيها السيف العذل، وأن نتفكر فيها، فالمفارقات غدت كثيرة، ومارست لعبة التكرار التي من المفترض أن تؤدي إلى الكمال، وتعلّم الحمير والشطّار على عكس ما نعتقد به، بعد إصلاح المكتشفات من الخطأ أثناء حركة المسير والتوقف والالتفاف والدوران، تدور الأيام دورتها، من دون قدرتها على العودة إلى الوراء، أو أن تلتف عليه، تحدث الفوارق بين الحيوان والإنسان، أحياناً تجمعهما، وأحياناً تبيدهما على حقولها، تُظهر المشهد باردَ الصورة، كما ترخي عليه ظلالها، ليبدو جميلاً، يتعجب الناس، يقفون عاجزين عن تحليل المجريات وفهمها، يحادثون المكون عن انتصاراتهم، عن انكساراتهم، يخشعون أمام أخطائهم، يهدؤون، يثورون تعبيراً عن المعاني الكامنة في ذوات الثائرين، غايتهم ترميم الجراح والخدوش وإخفاء الندبات، والوقوف من جديد من أجل حقوقهم وحريتهم الافتراضية، من دون وعي إضاعتهم لها، أو فقدها، أولاً من جوهرهم، وثانياً أمام حضورهم بعد تجاهل النجاح.

هل خبزنا – نحن العرب– بلا ملح؟ أم إن ملحنا منثور على أذيالنا، نُقَبل أيادي الغريب، بينما نعض أيادي بعضنا، نصرخ، نتألم، تعلو أصواتنا استنجاداً بالغريب الذي يعود لينهب، ويقتل ويدمر، ومن ثم وبقبلة نطبعها على الخشم، أو الجبين، أو الشارب، أو اللحية، تعود المياه لمجاريها، ولكن إلى حين، لماذا لا نحترم عهودنا ووعودنا أمام بعضنا. أولاً بالتأكيد لأننا لا نحترم خبزنا، ولا نقدر قيمة ملحنا، والذي تثبته المجريات والأحداث، يشير إلى ذلك بقوة الناظر إلينا، كيف بالناس لا يعون معاني أن يكونوا رجالاً حقيقيين، وكذلك أيضاً النساء التي تبحث كل واحدة منهن عن أنثى نضرة، تجدها بين ثناياها، اجتهدت من أعماقها لغاية أن تكون مدرسة حقيقية، لا وهم فيها، وأن تغدو مصنعاً للرجال، من دون عمليات التجميل والخداع ومحاولات التشبه بذلك، نابذين أصحاب التكلف والتصنع الذين يظهرون صغاراً بحكم تخليهم عن طفولتهم المسكونة في داخلهم، والذي يتخلى عنها، لا يمكن له أن يصنع إنساناً، ما يؤكد الحاجة إلى التهذيب الذي يؤدي إلى امتلاك آداب السلوك العامة بشكل أفضل، أين العقلاء والحكماء والقادة الجادون، كي يأخذوا بنا إلى رفض الأعراف المتبعة والكثير من مفردات الماضي السلبية، أمام محاولات اكتساب الشهرة والوصول إلى الثروة، تحت مسميات البحث عن الحرية والاستقرار المبنيين أو المرتكزين من كلمتي المأساة والملهاة؟ تتحدان وتنفصلان كما حالتي الجنون والمجد، واعترافاتنا الدائمة تقول: إن أخطاءنا هينة، وهنا مربض الفرس، حيث تؤكد عمليات الاعتراف بالواقع، أن لا مجال للاعترافات الكبرى التي تقودنا إلى الحياة، وما هي إلا تبريرات لا يتقبلها العقل، وإنما يحملها لغاية إغفال الأخطاء الكبيرة والقاتلة التي تهيئ للانتقام بين الحين والآخر، وفي النتيجة الإنسان ابن الحياة، والحياة لقمة خبز عليك ألا تقضمها قبل أن تتأكد هل هي خبز حقيقي مملح، كي تصونه، كنعمة واردة من منظومة مقدسة، دعا إليها الإله الكلي، أم حصاة مادية تلفظها معلناً النقمة عليها، وربما يسأم الإنسان كثيراً من مباهج الحياة، إلا أنه لا يسأم الخبز والبشرية جمعاء، نراها متعلقة برغيف الخبز، ومهما غاب عنها أو عنك أو غبت عنه، يكن الهدف الرئيس دائماً وأبداً لوجودك؛ حتى الكلب عندما يحصل على قطعة الخبز، يهز ذيله تعبيراً عن العرفان، فيكون منه صديقاً صدوقاً، وكثيراً ما نضع الخبز على الرفوف تعبيراً عن احترامنا له، ويسأل الأبناء والأحفاد عنه، فنجيبهم بأنه على الرف، حتى إن بعض الشعوب تضعه في خزناتها، أو خزائنها، ومازال الكثير من المجتمعات ولحظة دخولك إلى منازلها، تقدم لك الخبز والملح قبل الدخول؛ أي تمنحك الأمان، فلا تخونها ولا تخونك.

إنها قصة كفاح الإنسان ورحلة سعيه الروحي والمادي المتجسدة أولاً وأخيراً في رغيف خبزه، الذي أشبعه بعد أن يسعى إليه ضمن مجتمعاته التي لكل منها رأيه فيها، إلا أن الجميع يتوقفون عند مفاهيم الأخلاق وطباع أبنائها، وسلوكهم نحوه، ومنها كان له أن زرع وحصد وقام بجميع العمليات بينهما، إلى أن خبَز خبزه، وكان بذلك رائداً بين الأجناس الأخرى، وأقصد جنس الحيوان، الذي يجمع رزقه لقطاً، إن كان في البحر، أو في السماء، أو على الأرض، يأتيه من دون ذلك العناء، وأيضاً نباتات الغابات الموحشة منها والغناء، وأشجارها الوارفة، والشيح وأشواك الصحارى والبوادي والقفار، وتلك الغنية بأعماق البحار، لا تتدخل بها يد الإنسان.

فهي تخدم نفسها بنفسها، تحيا وتموت بكبرياء، مشهدها حتى وإن تجنت عليها يد الإنسان ضمن آليات سعي الإنسان وراء الحياة، ومحاولاته للبقاء فيها، إلا أنه لا يمتلك قدرته عليها، لكونه لا يسيطر على أرواحها.

أيها الناس، ما نفع ما نكتب، إن لم نقرأ، وندرك الغايات التي نسعى إليها؛ كيف بنا لا نستفيد من المقدّم؟ وكيف بنا نخون خبزنا وملحنا؟ أوَلم يأكل جميعنا على اختلاف مشاربنا ومغاربنا وانتماءاتنا خبز جميعنا؟ وأيضاً أوَلم يأكل الجميع من خبز السلطان، والسلطان مجموع علم وقائد ووسيلة؟ ألا يقول المثل الشعبي: إن الذي يأكل من خبز السلطان، يضرب بسيفه. أوَلم يلعن الإله الذي يشرب من بئر ويرمي بها حجراً؟ كيف بنا لا نستفيق ونقول لبعضنا: كفى. تعالوا نتفكّر فيما خططناه، ولتكن البداية منه. وإذا أدركنا معاني ما جرينا تحت المعنون منه، أعتقد أنها تكون بداية ناجحة، فخبزنا أخلاقنا، وملحنا سلوكنا، يدلان علينا، إن أردنا البقاء، وإلا فنحن لا نستحقّ الحياة، ولنسرع أكثر في إنهاء بعضنا وكلّنا، كي تكون هناك ولادة جديدة.

د. نبيل طعمة

أرغب بخوض تجربة سينمائية.. وطموحي لا يتوقف

ديمة الجندي لـ«الوطن»: «بنت الشهبندر» لم يشبع نجوميتي.. وحزينة لعدم قدرتي على المشاركة في «دنيا٢»

وائل العدس

خلال الموسم الدرامي المنقضي، شاركت ديمة الجندي في عملين، يندرج الأول تحت بند المسلسلات الشامية، في حين يعد الثاني كوميدياً بحتاً، ولسوء حظها لم يحظ «بنت الشهبندر» بفرص العرض التي يستحقها فعرض على قنوات محدودة العدد والأهمية، في حين أجل عرض «فتنة زمانها» إلى ما بعد الموسم الرمضاني.

وظهرت بشخصية «شلبية» الفتاة الطيبة والظريفة التي تحمل أسرار البيوت وحكايات العشاق ولكن لا يحالفها الحظ بأن تجد الحب الذي تتمناه، وفي العمل الثاني شخصية «فريدة» ابنة «فتنة» المرأة التي تحيك المؤامرات، حيث تعمل لدى شقيقيها في الفندق وتساعد والدتي بحياكة تلك المؤامرات.

ورغم ظهورها الرمضاني بعمل واحد فقط، إلا أنها قدمت قبلها العديد من الأعمال المهمة، منها «بنات العيلة»، و«باب الحارة»، و«المفتاح»، و«صبايا»، و«حمام القيشاني»، و«دنيا»، و«قلم حمرة».

الفنانة السورية التي تقضي وقتها بين دمشق ودبي «مقر إقامتها الحالي» تعود عبر «الوطن» إلى أروقة الإعلام المحلي بعد غياب عبر الحوار التالي:

> ما يغريني في دور أن يكون جديداً ولا أكرر من خلاله ما قدمته سابقاً

■ ظهرت خلال رمضان بعمل واحد هو «بنت الشهبندر»، فهل كنت راضية عن نفسك؟ وخاصة أن العمل لم يتابع كثيراً؟

نعم راضية تماماً، وخاصة أن التعليقات جاءت لطيفة على دوري الذي تمتع بمساحة مهمة وفعالة، وكان ديناميو العمل، وشخصيتي هي الوحيدة التي تعرف السر الذي يربط الأبطال الثلاثة.

ولا يجوز القول إن العمل لم يتابع. صحيح أنه لم يحظ بفرص عرض مناسبة، إلا أن الجمهور استمتع به.

■ هل تعتقدين أن نجمات تفوقن عليك في رمضان لأن أعمالهن حظيت بفرص عرض أقوَى؟

ربما، لكن ليس لأن الأعمال لاقت فرص عرض أقوى، رغم أن هذا الأمر يلعب دوراً كبيراً ولا شك بذلك، لكن طبيعة الأدوار والنص والإخراج تلعب دورها أيضاً وأشعر أن هذه العوامل المشتركة تلعب دوراً بعكس أهمية العمل، وبالتالي إذا كان العمل مهماً فحتماً الشخصية ستكون مهمة، وهناك تجارب عديدة لا يسعني ذكرها.

ما أقصده أن الفرصة تبدأ من الدور ذاته، بمساحته وماهيته وما إذا كان الدور جديداً أم لا، وأيضاً طبيعة السيناريو والقصة والحبكة والإخراج والأبطال، وانتهاءً بفرص عرض قوية.

■ ورد اسمك بين أبطال «دنيا٢» قبل انطلاق التصوير، لكنك لم تشاركي فيه، فما السبب؟

نعم، وكان من المفترض أن أؤدي دور «مي»، وبعد أن تم الاتفاق حصل تقاطع بين تصوير هذا العمل في دمشق مع تصوير مشاهدي بمسلسل «فتنة زمانها» في أبو ظبي، وكان من المستحيل وقتها التخلي عني ولو يومين، وحتى عندما نجحت بالتنسيق بين العملين كان توقيت رحلة الطائرة غير مناسب بسبب إلغاء شركة الطيران وقتها لرحلة كانت متوجهة إلى دمشق، ولم أكن أرغب بالتوجه إلى بيروت ومنها إلى دمشق لأنه كان صعباً عليّ القيام بذلك، ولذلك تم استبدالي بزميلتي نادين تحسين بك.

بكل الأحوال، كنت حزينة ومنزعجة لعدم قدرتي على المشاركة في الجزء الثاني من العمل، ولكن لم يكن بيدي حيلة.

■ إذاً، الاكتفاء به نعمة أم نقمة؟ وهل ذلك يشبع نجوميتك؟

الفنان يحب الحضور بعملين أو ثلاثة، وأنا شخصياً لا أفضل أكثر، لكن عن عمل العام الفائت، فكان من الصعب علي المشاركة في أكثر من عمل لكون «بنت الشهبندر» أخذ مني وقتاً طويلاً لأني كنت مضطرة للحضور في جميع مواقع تصوير العمل، وخلال أشهر التصوير الثلاثة كنت مرتبطة ارتباطاً تاماً، وعندما عدت وصورت «فتنة زمانها» صادفت ذات المشكلة.

هذا الشيء لم يسعفني للارتباط بعمل آخر خارج الإمارات، لكني سعيدة جداً بتجربتي في مسلسل «بنت الشهبندر» وبالفرصة التي أعطيت لي للعمل فيه، لم أكن سعيدة كثيراً قد يكون ذلك صحيحاً لأنني كنت أفضل أن يعرض على قناة أهم، وكنت أرغب بوجودي بشكل أكبر، وأن أكون موجودة في عمل سوري آخر، لكن هكذا شاءت الظروف.

العمل لم يشبع نجوميتي، فأنا شخص طموح وأحب دائماً أن يكون عندي شيء جديد وأن أكون حاضرة بشكل مكثف أكثر من ذلك.

■ هل وجودك في دبي، يؤخر العروض الدرامية عليك؟

لا أعرف، لكنني أرى فنانين يعيشون خارج سورية ومع ذلك يتم طلبهم للمشاركة في أعمال إن كان في سورية أو في بيروت ولا أتخيل أنها أزمة بقدر ما أنها على ما يبدو استسهال للوضع.

هناك فنانون يعيشون في الخارج ويعملون في الدراما السورية وليس هناك أي مشكلة، قد ينطبق كلامك عليّ أنا، لأنني في الحقيقة عندما يطلبوني لعمل سوري فإنني مضطرة للذهاب لعدة مواقع للتصوير ويحتاج مني الالتزام لفترات طويلة في وقت يكون لدي عمل خارج سورية ويكون الأجر بالمقابل مخزياً للأسف، وهذه أول مرة أتحدث فيها بهذا الوصف عن الأجور التي لا تناسب ممثلي الصف الأول بل تناسب ما هو أقل من ذلك، وقد مرت علينا فترة عانينا من ظاهرة أن أبطال العمل يقبضون ما يريدون والباقي يدفع لهم الفتات، وهنا يقع الفنان في حيرة، فإما القبول مرغماً أو الرفض، وبالتالي تتم الاستعاضة عنه مباشرة وخاصة في ظل الظروف الصعبة.

هناك فنانون ليس لديهم مشكلة بالأجور لأنهم بحاجة للعمل ولديهم أولاد وعائلات ومصاريف كبيرة، ففي الظروف الراهنة لم يعد التمثيل مهنة لإشباع رغبة فنية، بقدر ما هو مهنة لتحصيل لقمة العيش، ومن يعمل في الفن ليس لديه مورد ثاني، فهو إما أن يعمل بالتمثيل ويقبل بذلك الأجر أو أنه يترك التمثيل ويبحث عن عمل آخر.

من لديه قدرة على العمل الخاص بعيداً على الفن يجد نفسه غير مضطر للعمل الدرامي إذا لم يعط الدور الذي يرغب فيه، أما الآخرون فهم مضطرون.

■ هل صحيح أنك تعرضت أنت وزملاؤك للنصب والاحتيال في «فتنة زمانها»؟

لم أتعرض للنصب والاحتيال، لكن ظروف العمل كانت صعبة بعض الشيء لعدة أسباب منها ظروف الطقس والإنتاج.

وعدنا بالكثير من الأمور ولم يفوا بوعودهم وكل الوعود كانت وهمية ولا حقيقة لها، والمنتج كان يمر بظروف قاهرة وتم الضغط عليه وعلينا، لكني لا أشك بشخصه وأرفض التحدث عنه بسوء، وأعتقد أن الأمور في طريقها للانفراج والعمل سيسوق إلى محطة مهمة، وستتضح الأمور خلال عشرة أيام.

■ شاركت في أكثر من عمل مع المخرجة رشا شربتجي، لماذا توقف هذا التعاون منذ «بنات العيلة»؟

التعاون لم يتوقف بيني وبينها وبأي وقت تطلبني فيه فسأكون حاضرة ومستعدة وجاهزة دون أي شرط أو قيد، وأنا من الأشخاص الذين أحبوا تجربتهم كثيراً مع المخرجة رشا شربتجي.

في مسلسل «أسعد الوراق» كان دوري قصيراً ولم نكن متناغمين كثيراً، لكن في مسلسل «بنات العيلة» كانت تجربتي معها ممتعة للغاية، وأحببتها كثيراً، وهي من المخرجين الذين يشتغلون كثيراً على التفاصيل والبحث المعمق.

وبقدر ما تحب شخصيات السيناريو الذي تخرجه، تنقل هذا الحب للممثل الذي يقوم بشكل تلقائي بتقديم أقصى ما عنده لأداء الدور، وأتمنى لها التوفيق وأتمنى فعلاً أن أعيد تجربتي معها بأقرب وقت ممكن.

> عندما تطلبني رشا شربتجي سأكون حاضرة دون قيد أو شرط

مع سلافة معمار في «بنت الشهبندر»

■ ما الذي يغريك في أي دور، وما الذي ترفضينه فيه؟

ما يغريني في دور ما أن يكون جديداً بالنسبة لي ولا أكرر من خلاله ما قدمته سابقاً، أما إذا تقاطع مع دور قديم فلا مانع به شرط أن تكن مساحته كبيرة (دور بطولة)، ويغريني أيضاً اسم المخرج الذي سأعمل معه واسم الكاتب والقصة والسيناريو، هي مجموعة عوامل متكاملة.

■ كيف تحافظين على رشاقتك؟ هل تمارسين الرياضية أم تخضعين لنظام غذائي معين؟

لا أخضع لنظام غذائي معين، ولكن تأتي أوقات أكون فيها «أكولة»، فأنا أحب الطبخ كثيراً، ونقطة ضعفي المعجنات، والنقطة الجميلة أنني نادراً ما أتناول الحلويات، ولستُ محبة للشوكولا، لكن بين الفينة والأخرى أنتبه إلى طعامي وأحاول قدر الإمكان تناول الوجبات المفيدة.

أمارس الرياضة وحالياً متعلقة برياضة اسمها «كروس فيت»، وقبل تصوير مسلسل «بنت الشهبندر» كان معي مدرب لهذه الرياضة وكان مشرفاً على غذائي وتمريني، ولا أقطع ممارسة الرياضة، وإذا قطعت لفترة معينة أعاود ممارستها، لأني أحبها كثيراً وأنصح الجميع بممارستها بشكل دائم.

■ بعد ١٧ عاماً في التمثيل، أين أصبح طموحك؟

طموحي لا يتوقف عند حد معين وصراحة أرغب بخوض تجربة سينمائية تكون مهمة، وكنت أتمنى أن تكون بدايتي في السينما في دمشق، لكن جميعنا يعلم بأن وضع السينما في سورية غير جيد للأسف وكأنها مخصصة لأشخاص معينين، وأتمنى أن تكون تجربتي السينمائية في مصر وأن تكون جيدة، وكما ذكرت طموحي لا يتوقف وكلما قدمت شيئاً جيداً يكون طموحي تقديم ما هو أفضل منه، وأتمنى أن أكون دوماً عند حسن ظن من يتابع أعمالي وأقدم لهم كل شيء جيد ويعبر عنهم.

■ نشرت بعض المواقع رأياً عن دفاعك عن الدراما اللبنانية بعكس ما صرحت سلافة معمار، ودفاعك لاحقاً عن ورد الخال رغم إساءتها، فما القصة؟

أبداً لم أدافع عن الدراما اللبنانية ولم أذكر اسم شخص معين، أنا قلت إن تجربتي في مسلسل «بنت الشهبندر» مع الممثلين اللبنانيين كانت جميلة جداً، لأننا في الحقيقة لم نشعر للحظة أننا نصور خارج سورية بل كان مرحباً بنا كثيراً وتعاملهم معنا كان ألطف من اللطافة وكنا كعائلة واحدة نخاف بعضنا على بعض، وحتى خارج أوقات التصوير كنا أصدقاء وإخوة وإلى الآن لا تزال علاقتنا مستمرة، لكن بين الحين والآخر نتصل ونطمئن بعضنا على بعض، ولا شك بأن الدراما اللبنانية بدأت تسير في الطريق الصحيح والممثلون تطوروا على جميع الصعد، وأنا شخصياً أحب فكرة «بان عرب» الذي يعبر عن الاندماج في الدراما العربية كلها وأحبه وأدافع عنه منذ زمن وأعتبره من الألوان الدرامية التي يجب أن تأخذ حقها، لكونه يقرب كل وجهات النظر والأفكار والمشاكل وغيرها، ونحن الآن في الوطن العربي نعيش مشاكل متشابهة، وبالتأكيد هناك أفكار تجمعنا معاً، وفكرة مسلسل «بنت الشهبندر» كانت مذهلة، وشهادتي بالكاتب هوزان عكو مجروحة فأنا أحب طريقته في الكتابة، وإسقاطاته من خلال العمل تذهب إلى الحديث عن علاقتنا مع بعض كسوريين ولبنانيين في السابق وكيف أصبحنا الآن.

المعرفة في عددها الجديد: امبراطورية تدمر وطريق الحرير

الوطن

صدر العدد ٦٢٣ من مجلة المعرفة الصادرة عن وزارة الثقافة، ومما جاء في كلمة الوزارة لهذا العدد، والذي حمل عنوان «تهديم العقل»: «... لقد دفعت البشرية ملايين الضحايا، وعانت عذابات مريرة، إلى أن تمكنت من تكوين وعي نوعي، مؤسس على منظومة معرفية. أخلاقية، أتاحت لها المفاضلة والتمييز بين الملائم وغير الملائم، لاستمرار واستقرار الحياة؛ وتحولت هذه المفاضلة من خلاصات، ونتائج قائمة على التجربة، إلى أعراف حاكمة للسلوك، أفضت– بدورها– إلى نشوء الأنظمة والقوانين، الضابطة لعلاقات البشر داخل مجتمعاتهم، وبين المجتمعات المختلفة، من خلال التطور القانوني، وصيغه الآمرة، التي نظمت وحددت الحقوق والالتزامات، في مختلف مجالات التعامل الإنساني...».

في كلمة العدد جاء العنوان «امبراطورية تدمر وطريق الحرير» للدكتور «علي القيّم»، وفي قسم الدراسات والبحوث شمل هذا الجزء ٩ أبحاث وعناوينها: «نحو موسيقا عربية متقنة ومعاصرة»، و«الحركية في شعر البحتري»، و«العرب والمسرح (الحضور والغياب)، و«كيف ننمي مفهوم ذات إيجابي لدى أبنائنا؟»، و«التوحد وصعوبات التعلم لدى الأطفال»، و«العنف والتطرف بين التفكير والتكفير»، و«ابن خلدون في قلعة (ابن سلامة)، و«قناة العاشق– قناة السوري للسوري»، و«الإنترنت في خدمة المخابرات المركزية الأميركية والبنتاغون».

جانب الشعر والقصة وقسم الإبداع حمل قصيدتين «الحدّ الأقصى، وعاصمة جديدة للأرض»، وقصتين المترجمة عنوانها «الأمير العجوز»، والعربية «المعبد»، أما حوار العدد فكان مع الأديب والباحث «نذير العظمة»، وفي قسم كتاب الشهر تمّ تسليط الضوء على كتاب ما بعد النظرية للفيلسوف الإيرلندي «تيري إيغلتون». وفي قسم آفاق المعرفة كانت العناوين: «عامان على رحيل الشاعر سليمان العيسى»، و«نحمي البيت بيد وبالأخرى نحمل الكتاب»، و«محمد الفراتي شاعر تحت صقيع النسيان»، و«تفاقم محنة التعليم في الوطن العربي»، و«فن التوقيعات في العصر العباسي»، و«مشاهد من الانفتاح على الآخر لدى الجاحظ»، و«البناء الفني للنص المسرحي»، و«أجرام وأحداث في فضاء الكون»، وغيرها العديد من العناوين.